مجلة وادى النيل للدراسات والبحوث ـ العدد الخامس ـ يناير 2015م

تاريخ الفلسفة وآليات تأريخها

عند فيلهلم فندلباند (Wilhelm Windelband)

د. ناهد إبراهيم محمد (*)

تمهيد:

ما الذي يدفع فيلسوف ما كي يؤرخ للفلسفة؟ هل الدافع إلي ذلك اعتزازه المفرط بفكره مما يجعله يتناول فكر السابقين عليه ليبين وهنه فحسب- كما كان الحال عند أفلاطون- الذي بلغ إعجابه الشديد بما قدمه حد النظر بعين الازدراء لما قدمه أسلافه رغم أنه كان لديه الكثير ليدلي به عنه، "إلا أن نظرته لهم كانت عدائية (خلافية) polemical أكثر منها تاريخية، ولذلك أخبرنا القليل عن خلفياتهم التاريخية أو علاقات بعضهم بالبعض الآخر"[1]، أم رجع الدافع إلي ذلك بالأساس إلي ما أتاحته طبيعة عمل الفيلسوف ذاتها من حرية تناول أية فكرة مهما مرت عليها السنون على اعتبار أن قيمتها لا تتقادم بمرور الوقت عليها، وأنه لا يمكن النظر إلي أفكار القدماء، تبعاً لذلك، على أنها مجرد تاريخ - كما هو الحال في النشاط العلمي حيث النظر إلي ما سبق من خطوات في طريق الاكتشاف العلمية أو الاختراعات المعاصرة بوصفها تاريخاً مضي مهما كان من أهميتها، أم كان الدافع إلي ذلك ليس مجرد حرية تناول أية فكرة أو أية حقبة فلسفية بل كان بالأساس نابعاً من سعي الفيلسوف إلي استقراء تاريخ الفلسفة انطلاقا من تصوره هو الخاص عن خطته– كما هو الحال عند هيجل- الذي أرخ للفلسفة ابتداءً من الفكر اليوناني، ومروراً بالعصور الوسطى وما بعدها، وانتهاءً بما وصل إليه عصره مطوعاً تأريخه لفكرة فلسفية بعينها هي الفكرة الشاملة، فإذا لم تكن لدى الفيلسوف تلك الفكرة العقلية المسبقة فإنه يكون قد استفاد من "حكمة العصور wisdom of the ages" وذلك بالنظر إلي أفكار القدماء في اختلافها وتعارضها مما يتيح له أن يكون تصوراً خاصاً به عن الحقيقة يفيد منه فيما يطرحه من قضايا؟ [2].

غير أن الأمر يتخطى اعتزاز الفلاسفة بآرائهم، أو حريتهم في نقد ما يتم تداوله من رؤى فلسفية في ساحات الفكر، أو رؤية بعضهم الخاصة عن خطة التاريخ في مجمله إلي وجود طائفة منهم كان سبيلها الوحيد إلي عرض فلسفاتها الخاصة بها هو من خلال استعراضها لتاريخ الفلسفة بشكل صح معه أن يقال أن

(*) ناهد إبراهيم محمد: دكتوراه في الفلسفة ومدرس منتدب بجامعة أسيوط.

تاريخ هؤلاء الفلاسفة الذين اشتهروا به، كان هو عين فلسفاتهم. والأمثلة على هؤلاء عديدة نذكر منها هارالد هوفدنج Harald Hoffding وفيلهلم فندلباند Wilhelm Windelband، وهنري سدجويك Henri Sidjwick، وجون هرمان راندال John Herman Randall، وفريدريك كوبلستون Friedrick Copleston، ووالتر كوفمان Walter Kaufman.

أضف إلى ذلك أن تناول أعمال هؤلاء التأريخية للفلسفة على جانب كبير من الأهمية لما يظهره من مكنون أفكارهم. ومما يزيد من تلك الأهمية، في حقيقة الأمر، النظر إلى تلك الأعمال ذاتها من زاوية أخرى تاريخية هذه المرة؛ وذلك من خلال تساؤل طرحه الكثير من المؤرخين المعاصرين من أمثال كارل بيكر Carl Becker وستيرلنج لامبركت Sterling Lamarecht وغيرهما من المؤرخين المهتمين بتأريخ الفلسفة historigraphy of philosophy حول مدى اتفاق آليات العمل التأريخي بشكل عام مع آليات العمل التأريخي للفلسفة بشكل خاص.

وعلى ذلك فإن التساؤلات التي يمكن طرحها بخصوص تأريخ فيلسوف ما للفلسفة لا تقتصر فقط على الأسباب التي دفعته إلى الاهتمام بتاريخ الفلسفة، أو الكيفية التي عرض بها لأفكاره من خلال تلك الأعمال، بل أنها تمتد أيضاً لتشمل طبيعة عمله كمؤرخ.

من هنا كان اختيارنا لتأريخ الفيلسوف الألماني الشهير فيلهلم فندلباند للفلسفة موضوعاً لهذه الدراسة لأنه فضلاً عن اهتمامه بتاريخ الفلسفة كموضوع رئيسي بالنسبة له واتخاذه من تأريخه لها مجالاً لعرض رؤاه الفلسفية؛ فإنه قد اهتم أيضاً بطبيعة عمل مؤرخ الفلسفة.

1- **أهمية تاريخ الفلسفة**:

كتب فندلباند[3] في مستهل مؤلفه "تاريخ الفلسفة" يقول: "ينبغي أن نذكر الباحث المبتدئ أن الفلسفة والتفكير العلمي شئ واحد، وأن العلم الطبيعي ليس هو كل العلم، وأن العلم كله يتركز في القيم"[4].

فألف باء تعلم الفلسفة، في نظره، أنها "عمل منهجي الفكر[5]"، ولذلك فإن العلم الطبيعي ليس هو العلم كله، فأي كيان منتظم من المعرفة له موضوعه ومنهجه هو علم سواء تعلق بأشياء العالم المادية أو المظاهر الإنسانية[6]، حتى وإن تفوق العلم الطبيعي بمنهجيته ونتائجه المبهرة، فكان العامل الحاسم في الحركة الفلسفية- ويخص فندلباند بالذكر هنا فلسفة القرن التاسع عشر- هو بلا شك السؤال عن درجة الأهمية التي يدعيها تصور العلم الطبيعي للظواهر فيما يخص نظرتنا للعالم وللحياة ككل"[7]، وفي ذلك يقول فندلباند أيضا:

"إن التصور الخاص بالامتثال الشامل للقانون في كل جزء من العالم الواقعي، والبحث في أبسط عناصر وصور الأحداث والأنساق الكونية، والتبصر في الضرورة الثابتة في قلب التغير- وفي كل ذلك تحديد للبحث النظري- جعل "الطبيعي" معياراً عاماً تقاس به قيمة كل حدث أو خبرة فردية"[8] .

هذه النزعة الوضعية التي اتخذت من العلم الطبيعي نموذجاً للعلم بشكل عام أثرت في الفكر الفلسفي في تلك الآونة فحولت موضوعات الفلسفة ومشكلاتها الأصلية، وهي المنطق والمعرفة، على وجه التحديد، إلي مشكلات يمكن إيجاد حلول لها من خلال علوم تجريبية مثل التاريخ وعلم النفس، ولهذا فإن فندلباند في محاضرة بعنوان "النزعة الوضعية والنزعة التاريخية والنزعة السيكولوجية Positivism, Historicism and Psychologism" عام 1908 يشير إلي أن الفلسفة صارت بتأثيرات النزعات الوضعية والتاريخية والسيكولوجية[9]، مجرد مغامرة لا تستحق الإقدام عليها نظراً لأن كل بحث جاد في المشكلات الفلسفية صار ينظر إليه على اعتبار أنه عودة بدائية لإحياء أنساق ميتافيزيقية عفا عليها الزمن، وكان من نتيجة ذلك أنه لم يبق غير تاريخ الفلسفة موضوعاً يمارس الفيلسوف عمله من خلاله[10].

إلا أن تاريخ الفلسفة، فيما يري فندلباند، لم يسلم بدوره من النقد، فنظر إليه وفقاً لما رسخه البحث التاريخي وقتذاك بوصفه "سجلاً للأخطاء والأحكام المسبقة" ومن ثم كان شعار تلك الفترة وهو "أنه ليس هناك فلسفة؛ بل هناك تاريخ للفلسفة فحسب" شعاراً عبر عن وصفية وتاريخية تلك الفترة، فضلاً عن تأكيده على نسبية المفاهيم كلها، وفوق ذلك كله فإن النظر إلى تاريخ الفلسفة كسجل للأخطاء عرض الفلسفة للتراجع بل للانهيار، وكان لذلك نتيجته ألا وهي التساؤل عن أخطاء تاريخ الفلسفة صار تساؤلاً ذا طابع تاريخي ونفسي، وحل محل الفلسفة؛ تبعاً لذلك، بديلان هما: التاريخ وعلم النفس[11].

وكان حل تلك الإشكالية، وبالتالي إكساب الفلسفة استقلاليتها من جديد بل ومصداقيتها ومن ثم استعادة الأهمية المفقودة لتاريخها هو تعريفها وتحديد مشكلاتها، وهذا هو ما تحقق، في نظر فندلباند، بالذهاب إلي أن المعرفة هي موضوع الفلسفة، غير أنه لم يذهب إلي أن الحقيقة تطابق correspondence بين قضية وواقع موضوعي خارجي، بل ذهب إلى القول بأنها قيمة تنسب إلى كل قضية ترضي مستويات مطلقة للتفكير، ولذلك كان الفكر كله، من وجهة نظره، موضوعاً لتلك المستويات، الأمر الذي جعله يرى أن المعرفة في نهاية المطاف، جزءاً من نظرية القيمة. فكما أن هناك أحكاماً أخلاقية لها سمة الأخلاقية المطلقة، ومبادئ للإدراك لها سمة الجمالية المطلقة، فإن هناك أيضاً قيماً مطلقة يرتكز

عليها الفكر، ولذلك فإن الحقيقة والصدق في نظره، قيمتان والمنطق في نهاية المطاف هو نظرية للقيمة[12]. ولهذا فإنه يقول:

"إن حقل الفلسفة الخاص بها ومشكلتها هي قيم الصدق الشاملة كمبدأ منظم لكل ممارسات الثقافة والحضارة ولكل القيم الجزئية في الحياة"[13].

وهكذا "قيد" فندلباند الفلسفة بتقسيمات ثلاث هي تقسيمات الفلسفة الكانطية النقدية من منطق وأخلاق وجمال. ولذلك فرق بين السؤال التاريخي الخاص بأصل المعرفة ونشأتها genetic question ، والسؤال الفلسفي النقدي الخاص بصحتها validity، وذلك على العكس مما قامت به النزعتان السيكولوجية والتاريخية من توحيدهما[14].

فبينما تعتمد العلوم على الأحكام النظرية Urteile الخاصة بالوقائع facts فإن الفلسفة تعتمد على الأحكام النقدية Beurteilungen كأحكام للقيمة[15]، فالأحكام النظرية أحكام للواقع وهي دائماً إيجابية نظراً لأن غرضها هو توسيع حدود علم ما. أما الأحكام النقدية فيمكن النظر إليها على أنها إيجابية وعلى أنها سلبية أيضا. وذلك نظراً لأنها تعرض للموقف الذى تتخذه الذات في حالة تقييمها للحكم النظري[16].

ومن هنا فإن فندلباند يشيد بكانط للأولوية التي أعطاها للنقد، غير أنه ينقده أيضاً لموقفه من العلم التاريخي وذلك لأنه ركز اهتمامه على العلم الطبيعي فنظر إلي المعرفة التاريخية بوصفها عرضية فلسفية وتعسفية[17]، ولهذا أيضاً كانت تفرقته الشهيرة بين طائفتين من العلوم .

فلفندلباند تفرقة شهيرة ارتبطت باسمه بين علوم "واضعة القانون Nomothetic" وقصد بها العلوم الطبيعية، وعلوم "مصورة الأفكار Idiographic" ورأي أنها العلوم التاريخية.

ولذلك فهو يقول في محاضرة شهيرة له في جامعة ستراسبورج Strasburg تحت اسم "التاريخ والعلم الطبيعي Geschichte and Naturwissenschaft"[18]: "إن العلوم التجريبية (في بحثها في المعرفة) ...، إما أنها تنشد ما هو عام في شكل قانون للطبيعة أو أنها تنشد ما هو جزئي في شكل بناء محدد تاريخياً، فهي من ناحية تتعلق بالشكل الثابت باستمرار، في حين أنها من ناحية أخرى تتعلق بالمحتوى الفريد... لحادثة حقيقية، أما الأنظمة الأولي فهي العلوم النوموثيتية، وأما الأنظمة الثانية فهي علوم السياق أو علوم الحادثة. فالعلوم النوموثيتية تتعلق بالحالة المستمر حدوثها، وأما علوم السياق فتتعلق بحالة تحدث، وإذا سمح لنا باستخدام مصطلحات جديدة، فإن الفكر العلمي نوموثيتي في الحالة الأولي وأيديوجرافي في الحالة الثانية"[19].

"فالعلوم الطبيعية تهتم بالأحكام الكلية القاطعة نظراً لأنها تنشد عبارات تشرح اهتمامها بحقيقة هي ثابتة دائماً، واتجاهها هذا (اتجاه واضع للقانون)، وذلك نظراً لأن هدفها هو أن تعكس العلاقات ما بين القوانين، ولذلك فقيمة هذا المنهج في توجهه إلى ما هو مجرد. أما العلوم التاريخية فتلطف mitigate من حدة ذلك التصور عن طريق أحكام فردية مثبتة تتجه إلى ما هو جزئي، أى تتجه إلى ما يفسر شغفها بما يظهر نفسه كمحتوى للحقيقة وكمحدد بشكل فعلي، واتجاهها لذلك (مصور للأفكار)"[20].

ففي الوقت الذي تبني فيه فندلباند نظرية عملية للتاريخ فإنه رفض خضوعه لأي علم طبيعي ينظر إلي الأحداث كظواهر في تفسيرها لقوانين عامة، ولذلك كان تمييزه بين علوم طبيعية معممة للقانون ومتطلعة إليه، وعلوم تاريخية تهتم بوصف الأفراد والمقارنة بينهم[21].

إلا أن هناك صياغة أخرى لتلك التفرقة تخُضع تقسيم العلوم إلي نوموثيتية وأيديوجرافية هذه المرة إلي قسمة قيمية axiological dichotomy انطلاقاً من كون الفلسفة علماً معيارياً، وبناءاً عليها تنسب القيم لقسمين من الاهتمامات المعرفية وبالتالي تقوم المعرفتين النوموثيتية والأيديوجرافية تبعاً لذلك على قيم مستقلة ومختلفة[22].

وهنا تتضح أهمية تاريخ الفلسفة من جديد لا بسبب الظرف الثقافي والتاريخي هذه المرة ولكن بسبب ما يعبر عنه بل وما يشكله من أساس قيمي للفلسفة، يقول فندلباند: "إن الأساس القيمي للعمل الفلسفي يتشكل عن طريق تاريخ الفلسفة الذي ينبغي أن ينظر إليه– كما أدركه هيجل- كجزء مكمل integrant للفلسفة ذاتها، وذلك نظراً لأنه يعرض للسياق الذي تعبر من خلاله الذات الأوروبية عن رؤيتها وحكمها على الحياة الإنسانية من خلال تصورات علمية"[23].

ولكن كيف يبرز تاريخ الفلسفة معناها؟

2- **الفلسفة من واقع تاريخها**:

كتب فندلباند في مستهل مؤلفه "تاريخ الفلسفة" يقول: "يقصد التناول الحاضر للفلسفة تلك المعالجة العلمية للأسئلة العامة بخصوص الكون والحياة الإنسانية"[24]. فالفلسفة علم كلي يهتم بالأسئلة العامة والمبادئ المطلقة وليست علماً جزئياً أو نمطاً فردياً من أنماط الحياة.

فلقد ارتبطت الفلسفة عند القدماء بالعلم خصوصاً ما بعد سقراط في مدرستي أفلاطون وأرسطوا، ويدلل فندلباند على ذلك بأن لفظ العلم في اللغات الأوربية، وتحديداً اللغة الألمانية، وثق معني العلم كما فهمه القدماء، وذلك لأن لفظ Wissenschaft يدل على معني العلم الطبيعي وعلم القيم أيضاً، وهذا ما يجعله

يختلف عن لفظ علم في اللغتين الإنجليزية والفرنسية أي Science الذي يدل على العلم الطبيعي وحده، ولهذا " فإن الفلسفة بشكل عام هي العمل المنهجي للتفكير الذي نعرف من خلاله ما هو كائن، أي ندرك أن الفلسفات الفردية ما هي إلا علوم جزئية تدرس عن طريقها الآفاق الفردية للموجود existent" [25]، وهذا هو معناها النظري.

غير أن ثمة عناصر دينية وأخلاقية دخلت منظومة التفكير اليوناني لم تنظر إلي الأسئلة حول مهام الإنسان ومصيره بوصفها الأكثر أهمية فحسب، بل جعلت من الإرشاد عن المعني الصحيح للحياة هدفاً أساسياً واتخذته، وبشكل نهائي، محتوي رئيسياً للفلسفة أو العلم وكان هذا هو المعني العلمي للفلسفة، فالفلسفة من منظور الهيلينية إدراك المعني العملي لفن الحياة القائم على المبادئ العملية، وهو المعني الذي أوضحه السوفسطائيون وسقراط.

ولقد نتج عن إضافة المعني العملي للفلسفة أن معناها النظري أحيل شيئاً إلي فلسفات جزئية منها الذي أصبح في حقب لاحقة منتمياً إلي العلوم التاريخية، ومنها ما صار منتمياً إلي العلوم الطبيعية، بينما حافظت علوم مثل الرياضيات والطب على استقلاليتها في علاقتها بالعلم الفلسفي، ولذلك كان على الفلسفة أن ترتبط بنشاطات هذه العلوم من أجل الاستفادة من نتائجها برؤية عن الحياة[26].

أما مهمة الفلسفة في العصور الوسطي فإنها وإن تركزت بشكل أساسي بل ووحيد في الدفاع عن الدين، إلا أنها لم تظهر الدين "كمرشد للحياة الشخصية" فقط، فلقد ظهر الدين أيضاً... بوصفه نظرية عامة عن الحقيقة كلها، وكان الطابع الغالب عليها هو الطابع الفلسفي، بل وصيغت معتقدات المسيحية كلية تحت تأثير من الفلسفة القديمة".

وعلى ذلك فإن دور الفلسفة أقتصر، في هذه الحالة، على تأصيل المعتقدات، وتنميتها، والدفاع عنها بطريقة علمية، " لذلك فإنها تعارضت مع اللاهوت فيما يتعلق بالمنهج"، "فما لقنه علم اللاهوت استناداً إلي الوحي الإلهي حصلت عليه الفلسفة عن طريق المعرفة الإنسانية" .

ورويداً رويداً بدأت الفلسفة في الانفصال عن الدين، أي التخلي عن توضيح المذاهب الدينية أو الدفاع عنها، وصار اعتمادها "على النور الطبيعي للعقل والخبرة الإنسانية"، وحدهما[27]، ومن ثم تحول التعارض مع اللاهوت في المنهج إلي تعارض حول موضوع الاهتمام، فصار في الفلسفة الحديثة" حكمة العالم world-wisdom" بعد أن كان في العصور الوسطى" معتقدات الكنيسة"[28].

إلا أنه على الرغم من تلك النقلات فإن الفلسفة استمرت طوال تلك الحقب محتفظة بتقاليدها القديمة، أي "استمرت تدعم أسس النظر إلي العالم والحياة الإنسانية، انطلاقا من نظرة علمية في الوقت الذي لم يعد فيه الدين يستطيع

الاضطلاع بهذه المهمة"، ولهذا رأت فلسفة التنوير، مثلها في ذلك مثل الفلسفة اليونانية"، أن من حقها بل من واجبها أن ترشد الإنسان وذلك عن طريق النظر إلي طبيعة الأشياء، وأن تتحكم في رؤيته للفرد والمجتمع".

غير أن ذلك الشعور بالأمان نتيجة الارتكان إلي "نور العقل الطبيعي" تزعزعت أركانه مع كانط الذي رأي استحالة المعرفة الفلسفية للعالم خارج نطاق العلوم الجزئية"، الأمر الذي رأى فيه فندلباند تقييداً لمفهوم الفلسفة وإنقاصاً من مهمتها رغم ما أعطاه كانط من أهمية لنشاطها العلمي.

ولا يعني ذلك أن فلسفة كانط قد لاقت قبولاً شاملاً، بل العكس هو الصحيح، فما تركت فلسفة القرن التاسع عشر بعد ذلك اتجاها قديماً إلا وكررته وكان ذلك بإرجاع المعرفة الإنسانية كلها إلي الفلسفة وبالتالي النظر إليها كعلم شامل[29].

هنا يكون التساؤل عن إمكانية وجود تصور عام للفلسفة من خلال المقارنات التاريخية، ويذهب فندلباند إلي أن هذه إمكانية يصعب تحقيقها على أرض الواقع، ليس فقط لأن النظرة إلي الفلسفة كعلم شامل لا تتحقق في الفلسفات التي تتخذ من الدلالة العملية للحياة موضوعاً وحيداً للتفلسف ـ كما كان الحال في فلسفات كالأبيقورية وغيرها- بل لأننا– كما يقول فندلباند: "لا نستطيع تعريف موضوع أو شكل الفلسفة كعلم له طبيعة خاصة بطريقة تنطبق على الحالات كلها، فبصرف النظر عن التحديد المبدئي (النظري) للفلسفة بأنها علم كلي، فإن المحاولات الفعلية لتحديدها متعددة"[30].

ويوضح فندلباند ذلك بحديثه عن تقسيمات الفلسفة، ذلك أن محاولات تحديد الفلسفة هي في أفضل صورها القول بعلم طبيعي وآخر تاريخي.

أما مشكلات العلم الطبيعي فكانت "موضوعا لاهتمام الفلسفة لوقت طويل وفي نطاقها، ولم تنفصل عنها إلا في الأوقات الحديثة، وأما العلم التاريخي فلم يكن في البداية موضوعاً للاختلاف الفلسفي بين الأنساق الفلسفية إلي أن جاء الوقت الذي صار فيه موضوعاً للبحث الفلسفي بشكل متأخر نسبياً وفي حالات منفصلة، في حين أن المذاهب الميتافيزيقية المطلوبة دائماً كأساس لاهتمام الفلسفة نظر إليها تارة كنقاط تحول في التاريخ، ونظر إليها تارة أخرى بأنها مستحيلة" وفي الوقت الذي أعلنت فيه الفلسفة عن قدرتها على توجيه حياة الفرد والمجتمع فإن من الآراء القائمة على ما هو نظري ما رفض تلك الوظيفة "الهامشية".

وقد قيل، من ناحية أخرى، إن الفلسفة تتعامل مع الموضوعات نفسها التي تتعامل معها العلوم الجزئية ولكن بمعني آخر، إلا أن ذلك لم يدل على سمات خاصة بكليتها أو شمولها التاريخي نظراً لأن من الفلسفات ما استخدم في معرفته مناهج العلوم الأخرى كالرياضيات أو مناهج البحث في الطبيعة، في حين أن منها

ما عجز عن التعامل منهجياً مع مشكلاته فنظر إلي النشاط الفلسفي بوصفه مماثلاً لإبداعات فنية عبقرية.

وعلى هذا الأساس "لم تكن هناك علاقة ثابتة بين الفلسفة والعلوم الأخرى، يمكنها أن تصير تعريفاً يصلح لتاريخ الفلسفة بأكمله"[31].

فإما أن تظهر الفلسفة نفسها كعلم كلي، وتكون العلوم الأخرى أجزاءه المنفصلة، وإما أن تتولي الفلسفة مهمة استيعاب نتائج العلوم الجزئية والتنسيق فيما بينها، وهذا معناه اعتماد الفلسفة على العلوم الجزئية وهو ما يعني إنماءها furtherance من خلال ما تحرزه تلك العلوم من تقدم.

إلا أن ارتباط الفلسفة بالعلوم الجزئية قد يكون مساعدة لتلك العلوم أو عرقلة hindrance لها طبقاً لإسهام الفلسفة.

ففي حالة مساعدة الفلسفة للعلوم الأخرى، بما تتمتع به من رؤية واسعة وقدرة على الجمع بين الأشياء يكون ما تقدمه أمراً قيماً، أما في حالة تكرارها لما يحدث في هذا العلم أو ذاك فإنها تصير بلا فائدة، في حين أنه في حالة إتيانها بنتائج جديدة فإنها تلوح بالخطر نظراً لأنها حينئذ ستكون مستفزة ومقلقة لما هو مستقر أو راكد في العلوم الجزئية[32].

ولا يختلف الأمر في حالة النظر لعلاقة الفلسفة بأنشطة الحياة الأخرى، فعلاقتها بسائر نشاطات الحضارة ليست أقل عمقاً من علاقتها بالعلوم الجزئية، يقول فندلباند: "إن التصورات الناشئة عن الحياة الدينية أو الأخلاقية، أو الجمالية والناشئة عن حياة الدولة والمجتمع، تسير جنباً إلي جنب مع النتائج التي يحرزها البحث العلمي من أجل الوصول إلي فكرة عن الوجود تهدف الفلسفة ذات الوجهة الميتافيزيقية إلي تشكيلها، وهكذا الحال بالنسبة لتقييمات الأفراد Wertbestimmungen ومستويات أحكامهم التي لها مكانتها في الفلسفة العملية، ولذلك تجد قناعات البشر ومثلهم تعبيراً لها في الفلسفة شأنها شأن تأملاتهم الفكرية، فإذا ارتدت تلك القناعات وهذه المثل صورة العقل العلمي، فإنها، في هذه الحالة، تظهر أكثر أهمية ووضوحاً"[33].

ولكن هل معني ذلك أن مؤرخ الفلسفة لا يمكنه أن يلتمس معالم محددة لتاريخها مع هذا الكم الهائل من المشكلات الناتجة عن تأملات البشر وقناعاتهم؟

ينفي فندلباند ذلك قائلاً: "بالرغم من كل هذا فإننا مازلنا قادرين على أن نتحدث عن (تاريخ للفلسفة)، أي نتحدث عن صلة لا نجدها في الموضوعات التي يشغل بها الفلاسفة أنفسهم، أو في المشكلات التي يؤسسونها، بل نجدها فقط في العمل المشترك common work الذي يمكن إنجازه على الرغم من كل هذا التعدد في موضوعات بحوثهم وفي أهدافهم المرجوة التي يعملون من أجل تحقيقها"، ويقول أيضا:

"ويقوم ذلك العمل المشترك الذي يشكل تاريخ الفلسفة، في العلاقات المتغيرة التي يدعمها الفلاسفة طوال تاريخهم، ليس فقط من خلال نتائج العلم بشكل عام، أو نتائج العلوم الجزئية بشكل خاص، ولكن في الأنشطة الأخرى للحضارة الأوربية".

"فذلك العمل المشترك يمكن التماسه فيما لدى الفلسفة من مشروع علمي عام عن الكون تحققه بممارساتها كعلم كلي، وبتعميمها لنتائج العلوم الجزئية، أو في نشدانها نظرة للحياة تعبر عن القيم العلياً للإرادة والشعور، أو في النهاية في التحديد الواضح لمجالها وهو جعلها من فهم العقل لذاته هدفاً لها" .

ومحصلة ذلك كله- يكمل فندلباند: "أن الفلسفة عملت دائماً على أن تجلب للتعبير الواعي مبادئه الضرورية أو أشكاله التي يستطيع عن طريقها أن يعلن عن نشاطه، بل وأن يحولها من صورتها الأصلية كإدراكات ومشاعر، وحوافز إلي تصورات conceptions"، وفي هذا الاتجاه تسير الفلسفات كلها وبشكل تدريجي، ومن خلال التاريخ تُستوعب تلك الحياة الذهنية والروحية وتتضح.

"فتاريخ الفلسفة هو ذلك السياق الذي تجسد فيه الذاتية الأوربية من خلال تصورات علمية رؤيتها للعالم وحكمها على الحياة"[34].

وهكذا تبرز قيمة تاريخ الفلسفة بالنسبة لفندلباند لا بما فرضته ظروف الحقب التاريخية من أهمية له– كما سبق أن أوضح- بل انطلاقاً من وقائعه ذاتها.

فهذا التاريخ لا يظهر قيمة علمية أو تربوية فقط، بل يظهر كذلك قيمة ثقافية، وعلى حد قوله، فإنه "يعبر عن العلم الأصيل، ومحتواه، ومشكلته، وتبريراته"، ولذلك "فإن معرفة تاريخ الفلسفة أمر ضروري لأنها تعلمنا كيف تصنع التصورات والأشكال التي نحن جميعاً عن طريقها، نفكر في عالم خبراتنا ونحكم عليه سواءً في حياتنا العادية أو من خلال العلوم الجزئية"[35].

نحن إذن أمام تاريخ لتصورات الإنسان الأساسية وحكمه على الحياة، ولذلك فإن هذا التاريخ يبدو لنا– كما يشير فندلباند- بوصفه "نتاجاً لعدد هائل من الحركات الفكرية المتميزة عن بعضها البعض"، ولذلك كان نقده لهيجل.

فعلى الرغم من أن هيجل، في نظره، هو أول من أعطى تاريخ الفلسفة استقلاليته بوصفه علماً[36]، وليس مجرد تجميع لآراء متعددة للصفوة أو تركيز على موضوع عينه، بل كسياق محدد تحصل بواسطته مقولات العقل على وعيها وشكلها كتصورات، إلا أنه قد عاب تصوره أنه ربط بين النظام الكرونولوجي chronological[37] الذي تعبر من خلاله هذه المقولات عن نفسها بواسطة أنساق تاريخية وبين النسق المنطقي الذي تظهر فيه هذه المقولات ذاتها كعناصر للحقيقة أي كنقطة نهائية لنسق الفلسفة . ويلخص فندلباند ذلك بقوله: "إن التفكير

المبدئي، الصحيح في ذاته، يقود إذن إلي خطأ ألا وهو إخضاع تاريخ الفلسفة لسيطرة النسق الفلسفي، وذلك فيه ما فيه من انتهاك متكرر للواقعة التاريخية" (38).

ويرجع فندلباند هذا الخطأ إلي فكرة جانبها الصواب رغم اتساقها المنطقي مع مبادئ فلسفة هيجل مؤداها "أن التطور التاريخي للفكر الفلسفي يرجع فقط وبشكل أساسي لضرورة مثالية تتفاعل فيها مقولات الفكر مع بعضها البعض في حركة جدلية"، بينما حركة التطور التاريخي في الفلسفة لها صورة مختلفة عن تلك الصورة التي عرضها هيجل رغم كونها مثالية هي الأخرى، وذلك نظراً لأنها "تعتمد فقط على تفكير الإنسانية، أو حتى على روح العالم Weltgeist بل تعتمد كذلك على تأملات الأفراد المتفلسفين philosophizing individuals، واحتياجات عقولهم وقلوبهم، وفكرهم الذي يبرق في لحظات خاطفة"(39).

هنا نلاحظ للمرة الأولي، ملمحاً من الوصف الأيديوجرافي لتاريخ الفلسفة ممثلاً في تعبير فندلباند "الأفراد المتفلسفين".

ففي هذا السياق تحدث فندلباند عن الأفراد المتفلسفين وكأن الفلسفة رغم كليتها وشمولها، تُفسح المجال بشكل أو بآخر لمواهب الأفراد واحتياجاتهم وما يمكن أن يقدموه إذا هم تعاونوا مع بعضهم البعض، وهو في هذا الصدد يقترب كثيراً من الفيلسوف فريدريش شلايرماخر Friedrich Schleiermacher الذي استخدم تعبير الأفراد المتفلسفين ليظهر به اهتمامه بالإنسان الفرد وشعوره بوجه خاص، بل ويقترب وبالقدر نفسه من الفيلسوف فيلهلم دلتاي Wilhelm Dilthey الذي أولى بدوره الحياة الشعورية للإنسان، وما يدور في خلده من أفكار، أهمية كبيرة في فهمه للعالم والحياة.

ونلاحظ أيضاً كيفية جمع فيلسوفنا بين مشروعه العلمي الميتافيزيقي وبين المواهب الفردية للأفراد المتفلسفين بشكل لا يخل بتصوره للفلسفة من جانب ومراعاة وقائعها التاريخية من جانب أخر، وهو جمع وإن استعان فيه برؤى لشلايرماخر ودلتاى وغيرهما، إلا أن تأثره فيه بهيجل يبدو واضحاً رغم نقده له. والسؤال الآن: هل استمر جمعه بين المشروع العلمي ومواهب الأفراد المتفلسفين؟ هذا ما سنحاول إلقاء الضوء عليه بالوقوف على نمط لتأريخه للفلسفة مقارنة بأنماط أخرى عرض لها المهتمون بتأريخ تاريخ الفلسفة Historiography of the History of Philosophy .

فإذا كنا قد تناولنا سياق تاريخ الفلسفة وفقاً لتصور فندلباند بما يمكن أن يدخل، في حقيقة الأمر، فيما يعرف باسم فلسفة التاريخ الميتافيزيقية metaphysical Philosophy of history.

حيث "الاهتمام بالمعاني والدلالات التي تفوق العقلانية المحددة في العمل التاريخي المعتاد وذلك بالنظر في نسق الأحداث ككل، أو في الطبيعة العامة للنسق

التاريخي" فإنه يجدر بنا الآن أن يتناول تأريخ فندلباند للفلسفة ولكن من منظور عمل المؤرخ نفسه فيما يمثل ما يعرف أيضاً باسم فلسفة التاريخ النقدية critical philosophy of history وذلك نظراً لأن فلسفة التاريخ النقدية هي "التحليل الفلسفي للتأريخ أي التحليل الفلسفي للسمات المنطقية والتصورية لما يقوم به المؤرخون"[40].

3- **نمط تأريخ فندلباند للفلسفة**: (**التأريخ الإشكالي**):

كتب أحد المعاصرين المهتمين بتأريخ الفلسفة وهو جون باسمور John Passmore[41] معدداً لأنماط تأريخ الفلسفة، يقول: "تأخذ الكتب والمقالات عن نظريات الماضي الفلسفية أشكالاً مختلفة، فأحياناً يكون موضوعها الدفاع عن نظرية الفلسفية بعينها أو الهجوم عليها ولذلك فتوجهها جدلي أو خلافي (polemical) أكثر من كونه تاريخياً أو كونه مجرد محتوى يصف أو يلخص ما قاله الفلاسفة (doxographical) [42]، وفي أحيان أخرى يكون موضوعها هو الخطوات التي قطعتها فلسفة ما في طريقها إلي الحقيقة (retrospective histories)، أو ما يتمثل في النظر إلي الاتجاهات التي تصنف نظريات الماضي انطلاقا مما بينها من اختلافات (classificatory histories) ، وربما ربطت تلك المقالات بين النظريات والزمن الذي أدلى فيه أصحابها بها (Cultural histories)، وربما حاولت أخيراً أن تبين كيف تنشأ النظريات عن جهد لحل مشكلات فلسفية بعينها (problematic history)[43].

إلا أن باسمور، من جهة أخرى، وفي مقال له بعنوان "فكرة عن تاريخ للفلسفة The Idea of A History of Philosophy يحصر هذه الأنماط نفسها في ثلاثة هي النمط الخلافي polemical، والنمط الثقافي cultural وأخيراً النمط الشارح elucidatory[44]، ويدرج تحت هذا النمط الأخير الأنماط الأخرى المتبقية وهي النمط المسجل لآراء وأقوال الفلاسفة doxographical، والنمط المهتم بخطوات يقطعها الفيلسوف في طريق وصوله إلي الحقيقة retrospective أو كما يطلق عليه اسم "الطريق إلي الحقيقة path to truth والنمط الإشكالي problematic، أما النمط التصنيفي classificatory فيدخله ضمن سياق حديثه عن نمط "الطريق إلي الحقيقة"[45].

أما النمط الخلافي فيتمثل أساساً في تركيز الفيلسوف اهتمامه في الدفاع عن وجهة نظره ونقد آراء الآخرين خصوصاً من سبقوه، بل يتحول إلي نمط عدائي حال إعجاب الفيلسوف الشديد بما قدمه بشكل يحول دون أن يهتم بما قدمه الآخرون بل يدفعه إلي احتقار ما قدموه، ويعد أفلاطون خير مثال على ذلك النمط الخلافي بل والعدائي أيضاً. وإن كان هذا الاتجاه من النظر في تاريخ الفلسفة لم

يفتقر إلي مدافعين عنه في الفكر المعاصر ومن أبرزهم س.د. برود C.D.Broad الذي رأى أن احتكاك الآراء أو الأفكار بمثابة نور يجنب كثيرين الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها السابقون وذلك بكشفه مواطن القوة أو الضعف في أي رأي بما يتيح لهم اكتشاف الاتجاه الذي يحرزون فيه مزيداً من التقدم(46) . وهذا ما رآه باسمور أيضاً فها هو يقول: "إن الكتب الخلافية عن الفلاسفة العظماء لم تؤلف لتزيد معرفتنا بتاريخ الفلسفة، وإنه لمن الحماقة أن نقلل من شأنها لأنها لم تؤد هذا الدور، فلقد نشأت هذه الكتب نتيجة لتقليد مؤداه أن الفلسفة يمكن أن تدرس عن طريق نقد ما عرف من أعمال رئيسية (للفلاسفة)" (47).

ويأتي تاريخ الآراء والأقوال اتجاهاً بعيداً كل البعد عن الإغراق في الجوانب الذاتية وما يشوب ذلك من فقدان أحكام الفيلسوف الموضوعية، إذ يولى هذا الاتجاه اهتمامه لتسجيل أعمال الفلاسفة وسيرهم، وأبرز من قام بهذا الدور ديوجين لايرتوس Diogines Laertius(48).

"ففي تاريخ الآراء والأقوال تظهر آراء الفلاسفة بشكل عام من خلال تفصيلات ببليوجرافية، قد زود هذا الإطار الكرونولوجي بفكرة مثل فكرة التتابع succession... مما يشير إلي نوع من التأثير والتأثر" (49).

ولكن ماذا عن رأى الفيلسوف نفسه؟ هل ثمة موقف ثالث غير الموقف الخلافي (العدائي) الذي يتخذه الفيلسوف إزاء الآخرين أو الموقف الذي يكتفي فيه مؤرخ الفلسفة بتسجيل ما قدمه السابقون؟

هناك، في واقع الأمر، موقف ثالث يري مؤرخ الفلسفة من خلاله أن ما عرضه القدماء ليس سوى مراحل على طريق الوصول إلي الحقيقة، وخير مثال على هذا التاريخ الموسوم "بالطريق إلي الحقيقة path to truth هو الفيلسوف هيجل.

حقاً أن هناك من سبقه في هذا المضمار مثل ديتريش تيدمان Dietrich Tiedmann الذي سعى إلي الكشف عن المبدأ الأساسي في أية فلسفة، وليس مجرد التلخيص للمذاهب الرئيسية، وجوتليب تينمان Gottlieb Tennemann الذي حاول في خطوة أكثر تقدماً أن يصنف المذاهب الفلسفية، وأن يرجع التصنيف إلي خصائص أصيلة في الروح الإنسانية"(50)، إلا أن هيجل نقدهما لعجزهما عن بيان كيفية نشأة فلسفة عن أخرى تاريخياً.

فتاريخ الفلسفة الحق، في نظر هيجل، هو الذي يبين كيف "أن كل فلسفة تنبع من روح عصرها كجزء من حركة العقل في اتجاه الحقيقة"(51)، وأن المؤرخ الحق هو الذي يستفيد بالفعل من أعمال من سبقوه شأنه في ذلك أي مؤرخ يتعامل مع معطيات تاريخية، إلا أن ذلك لا يعني أن هيجل كان مجرد مسجل لروايات تاريخية أو مقرراً لرؤية فلسفية – كما هو الحال عند مؤرخ الآراء والأقوال(52)،

بل كان فيلسوفاً رأى في التاريخ حكاية مستمرة، ولذلك يورد باسمور تعبير المؤرخ والش Walsh بأن هيجل تعامل مع تاريخ الفلسفة كفيلسوف للتاريخ لا كمؤرخ للفلسفة(53).

إلا أن هذا الفيلسوف أخطأ بليه ذراع الحقيقة لتسير في اتجاه الخطة المنطقية التي رأى أن التاريخ يسير وفقاً لها، الأمر الذي لم يعط لحديثه مصداقية كاملة.

غير أن باسمور يراه محقاً، من جهة أخرى، في استخدامه للمنهج ذاته، وذلك لأن سعيه لاستعادة الماضي من خلال اللحظة الحاضرة ودمجه فيها، عبر عن اهتمامه باللحظة الفعلية التي يعيشها، "والفيلسوف لا يستطيع بالفعل الفكاك من اهتماماته الفعلية"(54) .

وعلى خلاف هذه النظرية التي تقوم على امتصاص الاختلاف بين الأفكار ودمجها تبعاً لذلك في وحدة أعلى، فإن هناك نظرية تقوم، خلافاً لذلك، على الإبقاء على ما بينها من تعارض فيما يسمى بالتأريخ التصنيفي .

ويمثل هذا الرأي تشارلز رينوفييه Charles Renouvier الذي ذهب إلي "أن تاريخ الإنسانية إنما يصف الصراع بين الاتجاهات المتعارضة في الفكر الإنساني، وأن مهمة الفيلسوف، تبعاً لذلك، أنه يصنف أكثر من كونه يربط بينها تاريخياً".

ومن أبرز هذه الاتجاهات على سبيل المثال، ما يشير إليه رينوفييه بالخلاف بين المؤيدين للالتزام والمؤيدين لحرية الإرادة(55)، وما يقرب له باسمور مثالاً بدوره بالخلاف التاريخي الشهير بين الإسميين والواقعيين(56).

ولا تخلو هذه النظرية من مثالب، فهل الهدف منها هو مجرد الإبقاء على خلافات تاريخية دون مراعاة لسياقها في الحاضر أيضاً؟ فإذا ما طبق على الخلاف بين الاسميين والواقعيين ،على سبيل المثال، فهل يبقى الواقعى المحدث على ذلك الخلاف بأبعاده التاريخية، ومن ثم يكتفي باستفادته من أفلاطون، أم أنه يستخدم، بدلا من ذلك، براهين مختلفة ليدفع بها الاعتراضات الكلاسيكية عن الأفلاطونية معبراً بذلك عن ضرورة أن يهتم المؤرخ بالطرق التي تتشكل بها الاختلافات من جديد؟

ويبدو أن الإبقاء على الخلافات التاريخية دونما النظر إلي إمكانية تجددها ومن ثم تعاقبها عبر الحقب الفكرية المختلفة لا يقتصر فقط على أصحاب التأريخ التصنيفي بل يشمل أيضاً أصحاب ما عرف بالتأريخ الثقافي.

وتقوم نظرية التأريخ الثقافي على الاهتمام بالظروف الاجتماعية التي تنشأ فيها فلسفة ما، ويتضح ذلك بأنه في حالة نظر المؤرخين الخلافيين لأفلاطون، على سبيل المثال، فإنهم يعرضون أفكاره كما لو كان زميلا لهم يتناول مشكلات

معاصرة، في حين أن الكتاب الثقافيين ينظرون فقط إلي المشكلات التي أثارها هذا الفيلسوف انطلاقا من التغييرات التي حدثت في المجتمع اليوناني في عصره .

وللتأريخ الثقافي أنصاره ومنهم هيجل أيضاً الذي رأى أن أية فلسفة تعكس روح العصر الذي نشأت من خلاله، وإن كان في نسقه الفلسفي أولي اهتمامه للعلاقات المنطقية الداخلية بين النظريات .

أما في الفكر المعاصر فيبرز اسم جون هرمان راندال John Herman Randal، ومقولته هي " أن مشكلات عصر واحد والناتجة عن صراعات ثقافية لا تتناسب مع مشكلات عصر أخر"، ويظهر كولنجوود بوصفه أحد مؤيدي هذا الاتجاه في التأريخ.

ويناقش باسمور هذا النمط من التأريخ بضربه مثالاً أيضاً، فالمشكلات التي يصطدم بها فيلسوف الرياضيات المعاصر تختلف عن المشكلات التي سبق أن اصطدم بها أفلاطون، ولذلك فإنه من السخف أن ينقد أفلاطون لعدم قدرته على حل مشكلات لم يتعرض لها أصلاً، ولكن ألا يتساءل فلاسفة الرياضيات المعاصرون عن علاقة الهندسة الإقليدية بالعالم؟[57] وهل يمكنهم أن يتعلموا شيئاً من خلال تدقيقهم في تناول أفلاطون للمشكلة ذاتها أى صلة الإنسان بالعالم؟ فتاريخ الفلسفة من وجهة نظر المؤرخ الثقافي "يكتب أفقياً horizontally وذلك بالنظر للظروف التاريخية وليس رأسياً (عمودياً) vertically بالنظر إلي أجداد الفيلسوف"[58].

ويأتي التأريخ الإشكالي في نظر باسمور، نمطاً أخيراً ونهائياً بل ونمطاً مرضياً saticfactory أيضاً لمن يهتم بالفلسفة[59]، ذلك أنه يراه بديلاً مناسباً يمكن عن طريقه تلافي عيوب الأنماط الأخرى، لاسيما أنه لا يستند إلي آراء شخصية ذات طابع جدلي خلافي أو طابع سردي للأحداث والأشخاص، ولا يقوم على الإبقاء على الصراع بين الأفكار أو النظر إليها كتعبير عن سياق منطقي للحقيقة أو من زاوية ظروفها التاريخية والاجتماعية، بل يستند إلي الاهتمام بالمشكلات الفلسفية، ويستشهد باسمور في هذا الصدد بما يقوله المؤرخ ليونارد نلسون Leonard Nelson من "أن تاريخ الفلسفة هو توالي أو تتابع الحلول المتنامية الناجحة للمشكلات الفلسفية" [60].

وهناك رأيان حول تلك المشكلات الفلسفية، أما الرأي الأول فمفاده أن هناك مجموعة من المشكلات الثابتة والراسخة التي لا تتغير، والتي تحاول الفلسفة إيجاد حلول لها في كل عصر، والمثال عليها المشكلات المعرفية، وأما الرأي الثاني فإنه على خلاف الرأي الأول ويتلخص في أن ثمة مشكلات فعلية تعرض للفلسفة في كل عصر وتختلف من عصر إلي آخر، فأفلاطون كمثال محبب لباسمور- "لم يسأل نفسه عن طبيعة الفلسفة، لأن هذا التاريخ لم يكن قد نشأ بعد، بل سأل نفسه ما

إذا كان حراس الجمهورية Republic قد تلقوا تعليماً كلاسيكياً أم كان ما تلقوه تعليماً حديثاً؟" .

وهذا مما يثير التساؤل عما إذا كانت هناك حلول ثابتة لهذه المشكلات الفلسفية أم أنها حلول زمنية وقتية؟ وهل الفلاسفة دائماً ما يصلون إلي حلول لهذه المشكلات أم أنهم يقتربون من حلها فحسب؟ وعن هذا التساؤل الأخير يتحدث إلينا باسمور قائلاً: "لنتجنب هذا التساؤل (لاستحالة الوصول إلي إجابة عنه) ولنقل فقط: إن الفلاسفة ناجحون في توضيح ما تتضمنه المشكلات المثارة، فهم يبينون أن الحلول المؤكدة، غير متاحة، وإنهم ليقدمون الفرضيات الجديدة باستمرار"[61].

فالتأريخ الإشكالي إن لم يفترض غرابة الفلسفة وأحجيتها أو المغامرة التي يقدم عليها مؤرخ هذا النمط من أنماط التأريخ الفلسفي فقط، فإنه يفترض تفهم ذلك المؤرخ لطبيعة المشكلات الفلسفية فضلاً عن تفهمه للظروف التاريخية التي تنشأ فيها المشكلات. إنه يفترض وجود الفيلسوف والمؤرخ معاً في شخص واحد، ولذلك فإن هذا التأريخ الإشكالي هو التأريخ الوحيد الذي يمكنه أن يلقي الضوء على التطور الداخلي للفلسفة، ذلك أنه "يدعنا نري كيف تحرز المشكلات الفلسفية تقدماً ملموساً"[62].

ويصوغ باسمور هذه الجزئيات بطريقة أخري من خلال استعانته بفلسفة هيجل من جديد، فلم يفقد هيجل، بطبيعة الحال، حضوره في هذا النمط الأخير والأهم من أنماط تأريخ الفلسفة مثلماً لم يفقد حضوره في الأنماط الأخرى، ويرجع السبب في ذلك إلي "أن أهمية الاتجاه الهيجلي تكمن في تأكيده على حقيقة أن الفيلسوف إنما يبدأ من المشكلة" [63].

ولا تقف أهمية هيجل، في هذا الصدد، عند تأكيده على أن التأريخ للفلسفة يبدأ من المشكلة فحسب، بل تمتد لتشمل ما أثاره رأيه من ردود فعل عند فلاسفة تأثروا به، فهذا كونوفيشر Kuno Fischer أحد خلفاء هيجل وهو أحد المؤيدين بقوة للتأريخ الإشكالي كذلك، يذهب في مؤلفه "تاريخ الفلسفة الحديثة Geschichte der neuen Philosophie" إلي "أن الإدعاء بالوصول إلي الحقيقة كاملة، أو أن التاريخ يعبر عنها في مجمل حركته وبشكل كامل ـ كما كان الحال عند هيجل– يؤدي إلي القول بأن الفلسفة ليس لها تاريخ، وإلا كيف يمكن تصور تاريخ للفلسفة دون الحديث عن فترات ينضج فيها الفهم الفلسفي وأخرى يضمحل فيها؟" [64]، وبتعبير آخر "فإن الحقيقة ليس لها تاريخ بينما مناقشة المشكلات هي التي لها تاريخ"[65]، ولذلك يشيد فندلباند بهذا المفكر، بل ويذهب إلي أنه الفيلسوف الذي تأثر شخصياً بآرائه، وأنه مثله ممن يهتمون بالتأريخ الحضاري[66].

وهكذا فإنه طبقاً للتأريخ الإشكالي فإن الفهم الإنساني "يتمثل أساساً في اقتراب الفلاسفة من التعرف بوضوح على المشكلات المطروحة عليهم، ووقوعهم

أيضاً على عدم كيفية الحلول بإزائها، وكيف أن تلك المشكلات تتأثر بالتطورات الجديدة في العلم، والدين، والمجتمع، وقد يحدث بطبيعة الحال انهيار في الفهم الفلسفي أيضاً، إلا أن المؤرخ الإشكالي يختلف عن المؤرخ الثقافي في أنه يهتم أكثر بفترات تقدم الفلسفة" [67].

بيد أن أهمية التأريخ الإشكالي لا تكمن فقط فيما يفترضه هذا التأريخ من اهتمام مؤرخ الفلسفة بالمشكلات الفلسفية، وأولوية أن يكون هذا المؤرخ فيلسوفاً، بل تكمن أيضاً في أنها تجعل منه فيلسوفاً بشكل أفضل، إذ أن هذا النمط التأريخي هو النمط الوحيد الذي يعلم الفيلسوف ويثقفه ويزيد من وعيه، وهذا هو ما يتضح بالمقارنة بالفيلسوف الصرف الذي يتسم عمله بالحرص الشديد على التمييزات من أجل التمييزات بشكل لا يساعد على تفهم المشكلات الفلسفية، ويتضح كذلك بالمقارنة بالمؤرخ الصرف الذي لا يهتم إلا بتفصيلات الماضي في حد ذاتها، أما الفيلسوف المؤرخ فإنه يجمع في الوقت نفسه بين الإلمام بطبيعة الفلسفة والإلمام بتاريخها[68].

هذا التركيز على المشكلات الفلسفية، وكذلك تقدم الفهم الفلسفي يراه باسمور ممثلاً، في أوضح صوره، في تأريخ فندلباند للفلسفة . فقد أيد فندلباند هذا الاتجاه من التأريخ الإشكالي بقوله "إن الفلسفة تبدأ من المشكلة"، متأثراً في ذلك هيجل– كما ظهر ذلك في مؤلفه Geschichte der Philosophie[69]، ولهذا كان بحثه في العوامل الكامنة وراء طرح المشكلات الفلسفية، وما تفرضه تلك العوامل من خطوات فعلية يتخذها مؤرخ الفلسفة وقت تناوله لأية مشكلة.

4- **آليات التأريخ الإشكالي**:

أ- عوامل طرح المشكلات الفلسفية:

تبدأ الفلسفة إذن من المشكلة هكذا رأى فندلباند، ولذلك فإنه يذهب في مؤلفه "تاريخ الفلسفة" إلي أن هناك عوامل وراء ظهور المشكلات الفلسفية يحددها في ثلاث: العامل الأول ويطلق عليه اسم العامل المنطقي البراجماتي، والعامل الثاني هو العامل الذي يؤسسه تاريخ الحضارة، أما العامل الثالث والأخير فيرتكز على الشخصيات المفردة.

1- العامل المنطقي البراجماتي Logical pragmatic factor [70]:

ويستند هذا العامل إلي أن مشكلات الفلسفة تطرح المرة تلو الأخرى نتيجة لغموض الوجود وعدمن كفاية ما يعرضه الوعي على التأمل الفلسفي تبعاً لذلك، إلا أنه على الرغم من أن المادة التي يستخدمها الوعي للتأمل غير كافية[71]، فإنها تشتمل على افتراضات حقيقية تتيح إمكانية التأمل الفلسفي فيها، ذلك أنها تؤكد

نفسها بشكل متجدد وبالطريقة ذاتها مما يمكن معه القول بأن ما يتكرر في تاريخ الفلسفة ليس هو المشكلات فحسب بل هو وسائل حلها أيضاً.

والفلسفة بذلك تسير في حركة دائرية تهدف من ورائها إلي حلول لن تصل إليها بشكل نهائي "فالمشكلات الفلسفية هي مهام لا يستطيع العقل الإنساني الفكاك منها" [72]، ومن ثم فإن تكرار طرح المشكلات الفلسفية ووسائل حلها يأخذ شكل الضرورة المنطقية فيعرفنا بكيفية تولد مذهب عن آخر. وفي ذلك يقول فندلباند: "إن تطور تاريخ الفلسفة من خلال فترات بعينها يجب أن يفهم عملياً وفعلياً من خلال ضرورة منطقية للأفكار، ومن خلال منطق الأشياء نفسها"[73].

وفندلباند بهذا الشكل يذكرنا بهيجل من جديد، ففي نظره أن هذا الفيلسوف أخطأ بتحديده عاملاً منطقياً وحيداً وراء حركة التاريخ، بينما الرأي الصحيح هو أنه يمكن شرح محتوى التاريخ الفلسفي على أساس وجود ضرورات منطقية كافية في طبائع الأشياء ذاتها تؤكد نفسها باستمرار في تفكير الأفراد.

والمثال على ذلك التأريخ الفلسفي بوصفه تأريخاً لأنماط متكررة منتظمة يراه فندلباند في تأريخ فيكتور كوزان Victor Cousin، الذي ذهب إلي أن تاريخ الفلسفة يتكون من أنساق أربعة هي: المثالية، والمذهب الحسي، والمذهب الشكي، والتصوف، بل إنه يري في حديث أوجست كونت Augest Comte أيضاً عن مراحل التاريخ الثلاث، وهي المرحلة اللاهوتية والمرحلة الميتافيزيقية والمرحلة الوضعية، مثالاً آخر على ذلك النمط من التأريخ[74].

ولا يكتفي فندلباند بالعامل المنطقي البراجماتي (العملي)، وما يثبته من تعبير الأفكار عن ماهيات الأشياء وما يعرضه من أنساق التناول الفعلي لها كعامل وحيد وراء طرح المشكلات الفلسفية، فهناك عامل آخر يسهم بدوره في هذا السياق، ومن منطلق التأمل في التاريخ أيضاً وهو العامل الذي يؤسسه تاريخ الحضارة، أي ما يعبر عن كل فترة تاريخية على حدة، بشكل يكمل "منطقية وبراجماتية" العامل الأول الذي يشير إلي الأفكار الضرورية الكامنة وراء كل تطور فلسفي فعلي.

2- العامل الذي يؤسسه تاريخ الحضارة Factor contributed by the history of civilization:

يري فندلباند أن الحضارة تسهم في تشكيل هذا العامل الثاني، فالفلسفة تستمد موضوعاتها ومشكلاتها من الوعي السائد في وقت ما ومن احتياجات المجتمع في ذلك الوقت، ذلك أن نمو العلوم الجزئية بأسئلتها المتزايدة، وحركات الوعي الديني، والحدوس الفنية الجمالية، والثورات في الحياة السياسية والاجتماعية كل ذلك يبلور مشكلات الفلسفة بشكل يختلف عن العامل المنطقي (البراجماتي) الذي يتوقف على طبائع الأشياء فحسب[75].

ويري فندلباند أن هذا النوع من التأريخ الذي يمثل واقع زمن ما واحتياجاته وثقافته ينطبق على تأريخ هيجل نفسه.

وبهذا الشكل فإن هذين العاملين المكملين لبعضهما البعض، في حقيقة الأمر، والمعبرين عن طبائع الأشياء وما يطرحه الفكر الفلسفي من مشكلات وما يقدمه من حلول لتلك المشكلات بكل ما يعنيه ذلك من تكرار للمشكلات وفي الوقت نفسه الاستفادة من الظروف الفعلية للحقب الفكرية على اختلافها، إنما يوضحان بشكل جلي كيف أن تاريخ الفلسفة، في تصور فندلباند، هو تعبير متدرج عن قيم فكرية (روحية) يظهر هذه الأفكار من خلال وقائعه، ولذلك فإن هذا التأريخ يختلف عن التأريخ الثقافي الذي سبقت الإشارة إليه، والذي يقف عند حدود الظروف الاجتماعية والثقافية لفترة تاريخية ما دونما الالتفات إلي ما يمكن أن يتجاوز أفكارها.

غير أن العامل الحضاري- كما يرى فندلباند- لا يفي بمتطلبات الحياة الإنسانية اليومية. فمن خلال الحياة المعتادة تتحدد رؤى الإنسان من خلال أمانيه، وأحلامه، ومخاوفه، وميوله، وتخضع كلها في أساسها النظري إلي أحكام أخلاقية وجمالية، بل وتتعدى ذلك الجانب القيمي إلي الجانب المعرفي في الحياة على نحو يري فندلباند أنه يمكن التماسه من جديد في فلسفة كفلسفة كانط التي جمعت بين الجانبين الأخلاقي والجمالي بالإضافة إلي الجانب المعرفي[76].

3- العامل المرتكز على تفكير الشخصيات المفردة Thinking of individual personalities:

ومن هنا يبرز العامل الثالث وهو يرتكز على تفكير الأشخاص الذين يضفون طابعاً خاصاً مستمداً من خبراتهم الحياتية على ما يتأملون فيه بجانب ركونهم، بطبيعة الحال، إلي الترابط المنطقي بين الجزيئات، واستفادتهم أيضاً بشكل أو بآخر من الأفكار المطروحة في وقت ما.

هذه الشخصيات المميزة والتي تبرز في هذا السياق كمجمع الصفوة، بإمكانها أن تحدث الفارق باختيارها مشكلات فلسفية فريدة تطرحها وحلولاً فريدة أيضاً لتلك المشكلات، فلا تساير بذلك حركة التاريخ كما صورها فلاسفته أو خطة الحضارة- كما طرحها المعنيون بها، وعلى حد تعبير فندلباند فإن هذه الشخصيات "تمثل مملكة من الشخصيات الفردية Kingdom of Individualities التي تعرض لتفصيلات لا يمكن تكرارها، ولها قيمة في ذاتها[77]، مما يعيدنا إلي ما سبق أن تحدث عنه فندلباند كطابع أيديوجرافي موسوم به العلم التاريخي الذي يحتفي بالأفعال الفردية ذات الطابع الخاص والتي لا ينطبق عليها قانون عام، بل يعيدنا أيضاً إلي ما سبق أن تحدث عنه كعمل مشترك يمكن أن يجمع بين هؤلاء الفلاسفة رغم اختلاف مشاربهم، وتعدد مشاريعهم وتنوع أهدافهم، تاركاً إمكانية

تحقيقه إلي ما تتمتع به الفلسفة من مزية متمثلة في أنها علم ينطوي على مشروع علمي عام عن الكون يمكنها تحقيقه من خلال ممارساتها سواء بتعميمها لنتائج العلوم، أو في تصوراتها عن قيم الحياة إرادة وشعوراً، أو أخيراً في وضع الوعي الإنساني أمام مرآة ذاته كي يدرك مبادئه الضرورية لا على صورتها الأصلية كإدراكات ومشاعر فحسب بل كي يدركها وقد تحولت إلي تصورات.

وفندلباند بذلك يراعي في هذا العامل الثالث ما سبق أن راعاه وهو يتحدث عن العاملين السابقين ألا وهو أنه ليس هناك عامل بعينه ينفرد وحده بأنه وراء ما يطرح في الساحة الفكرية من مشكلات، فإذا كان قد أضاف العامل الأول المرتكز على طبائع الأشياء عاملاً ثانياً يرتكز على الظروف الثقافية والحضارية، فإنه يضيف إلي هذين العاملين عاملاً ثالثاً يكمل هذه المنظومة وهو عامل الموهبة الفردية، بشكل لا ينعزل معه مجتمع الصفوة عن المشكلات المطروحة باستمرار في الأوساط الفلسفية، أو تلك التي تعبر عن حقبة فكرية بعينها، فلا يهمش دوره بجانب هذين العاملين الكليين.

فما يميز تلك الشخصيات المميزة هو طموحها الذي يصل بها إلي تأسيس رؤى فلسفية شاملة Weltanschauungen عن الحياة تعبر بدقة عن العوامل الشخصية كالميلاد والنشأة والخبرات الحياتية وما إلي ذلك، وهو بذلك يُلَمح إلي ما قام به دلتاى ومن تأثر به وإن لم يصرح بذلك.

ويضيف فندلباند إلي ذلك أن هذه الرؤى الفلسفية قد ترتدي ثوباً جميلاً يدخلها في دنيا الفن والخيال والشعر بشكل تظهر معه بوصفها "شعراً من الأفكار Begriffsdischtung"[78]، وكأننا بذلك مع شاعر وفيلسوف في الوقت نفسه مثل جوته Goethe ومن على شاكلته.

إلا أنه ينوه من جهة أخرى إلي أن تاريخ الفلسفة رغم هذه العوامل المفجرة لمشكلاته يظل تاريخاً حافلاً بالتصورات الكلية الصحيحة الموضوعة بشكل علمي عن العالم والحياة، وهو بذلك يذكرنا مجدداً بأهمية العلم القيمي في إيجاد تصورات صادقة عنهما. ولكن ماذا عن خطوات عمل المؤرخ؟

ب- خطوات عمل المؤرخ:

أما الخطوة الأولى فتحمل طابعاً لغوياً تاريخياً philologic-historical، وذلك نظراً لأن مهمة المؤرخ تبدأ بحصر المصادر المتاحة من ظروف الحياة والحركات العقلية أو مذاهب الفلسفة أي أنها تتشكل من حصر سير الفلاسفة وأقوالهم[79]، فيما يمكن تسميته وفقاً للتأريخ المعاصر بتاريخ الآراء والأقوال doxagraphical .

إلا أن مؤرخ الفلسفة لا يكتفي بدور مؤرخ الآراء والأقوال فخطوته التالية هي السعي لفهم أداء كل فيلسوف، ووسيلته إلي ذلك أن يؤسس نسقاً تتبعياً يفهم عن

طريقه أداء كل فيلسوف، وحقيقة ذلك أن أي فيلسوف إنما يعتمد في جزء من مذهبه على ما سبقه، وفي جزء أخر على أفكار زمانه، وفي ثالث على نظام دراسته، ولذلك فإن هذه الخطوة تشير إلي تقمص هذا المؤرخ لدور المؤرخ الثقافي بل والمؤرخ التصنيفي أيضاً.

وتأتي الخطوة الثالثة والأخيرة وتعد الخطوة الأهم بل وينظر فندلباند إلي الخطوتين السابقتين عليها بوصفهما مقدمتين لها، فبعد أن بدأ المؤرخ بالنظر في سير الفلاسفة وأعمالهم، ثم انتقل من ذلك البحث إلي البحث في الظروف التاريخية والثقافية، فإن الخطوة النهائية التي عليه أن يقوم بها هي تحديده للقيمة الكلية لجملة تاريخ الفلسفة تلك التي تنتج بدورها عن تصورات كلية صحيحة موضوعة بشكل عملي، ولهذا فإن الخطوة تحمل طابعاً نقدياً فلسفياً critico-philosophical[80].

هكذا انتهي حديث فندلباند عن خطوات عمل مؤرخ الفلسفة إلي ما سبق أن بدأ منه حديثه عن عوامل طرح المشكلات الفلسفية.

فعلى حين بدأ حديثه عن هذه العوامل بما هي كلي ميتافيزيقي سواء كان طبيعة الإشكالية الفلسفية أو دور الحضارة ثم انتقل في نهاية حديثه إلي العوامل الفردية الأيديوجرافية، إذا به يبدأ كلامه عن خطوات عمل المؤرخ من العوامل الفردية منهياً تناوله بذكر العوامل ذات الطابع الكلي وكأننا بصدد دائرة نقطة البداية فيها هي ما هو كلي ونقطة النهاية فيها هي ما هو كلي أيضاً.

5- **من زاوية العمل التاريخي**:

غير أن هذه الدائرة المغلقة لا تلبث أن تثير من جديد التساؤلات عن العمل التأريخي في مجال الفلسفة. ولعل من أهمها التساؤل عن دور العوامل الفردية في عمل مؤرخ الفلسفة فهل يمكن أن يؤرخ إنسان ما للفلسفة دون أن يكون فيلسوفاً؟ وهو تساؤل يجيب عنه تناول عمل فندلباند التأريخي ولكن من زاوية العمل التاريخي نفسه.

ويساعدنا على الوقوف على معطيات العمل التاريخي عند فندلباند، في حقيقة الأمر، الوقوف قليلاً عند مقال مهم لأحد المهتمين بالعمل التاريخي بشكل عام والعمل التاريخي في مجال الفلسفة بشكل خاص وهو ستيرلنج لامبركت Sterling Lamprcht.

ففي مقال له تحت عنوان "تاريخ الفلسفة" Historiography of Philosophy يُجمل لامبركت طبيعة عمل المؤرخ، أي مؤرخ . فالمؤرخ في نظره ليس مجرد ناقل للأحداث، وليس مجرد رائي ذاتي ينظر إلي الوقائع التاريخية من وجهة نظره الخاصة فحسب، بل هو يتوخى الموضوعية ويضيف في الوقت نفسه جانباً من ذاته، ولذلك فإنه حين يفحص أحداثاً مضت ويكتب عن

رأيه فيها، فإن عمله نفسه يصير حدثاً آخر، حدثاً مثل الأحداث التي أرخ عنها من قبل، وبالتالي فإن التأريخ يصبح شرحاً للطريقة التي يعبر بها حدث عن أحداث أخرى، بل يصبح اختباراً لتطبيقات على واقعة بعينها ألا وهي أن أي حدث له ما يسبقه من الأحداث بوصفه موضوعاً وفي المقابل فإنه يصير موضوعاً لما يلحقه من أحداث.

ولذلك فإن التأريخ بهذا المعني هو فرع من الميتافيزيقا، والتأريخي historiogrpher مدركاً بدوره، لما قام به المؤرخ historian من تفسير للأحداث، سوف يري بالتأكيد في العمل التاريخي مثالاً واضحاً ومرشداً للطريقة التي تجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل في النشاط الإنساني(81).

هذا القول الموجز يفصله لامبركت بحديثه عن أبعاد ثلاثة لعمل المؤرخ بشكل عام. أما البعد الأول فيتمثل في خطوات عمل المؤرخ وما يرتبط بها من لحظات تستوعبها، في حين أن البعد الثاني يتمثل في الطابع الميتافيزيقي للتأريخ، وأما البعد الثالث والأخير فيمثله ما يصل بين العمل التأريخي بشكل عام والعمل التأريخي في مجال الفلسفة بشكل خاص.

وفيما يتعلق بالبعد الأول فإن العمل التأريخي ينطلق أساساً من مادة معطاة يتناولها المؤرخ بالبحث والدراسة والموضوعية التي يتطلبها البحث المدقق المنضبط، إلا أن ذلك لا يعني أن يكون المؤرخ مجرد ناقل للوقائع التاريخية، ولذلك فإنه يهتم بأن ينتقي منها وينقحها، ولذلك فإن المنتج النهائي الذي يعبر عن نشاط المؤرخ يظهر عندئذ كعمل تأليفي شأنه شأن أي منتج آخر يسفر عنه النشاط الإنساني(82).

وعلى ذلك فإنه يجب التمييز بين المادة التاريخية المعطاة أياً كان نوعها وبين كيفية استخدامها، وفي ذلك يقول لامبركت: "فما لدينا هو وقائع خاصة بنا، أما ما نفعله بإزائها فإنه يعبر عن دلالتها بالنسبة لنا، ومن ثم فإن الوقائع ذاتها تصير أشياءاً مختلفة بالنسبة لأناس مختلفين نظراً لأنهم يتعاملون معها بطرق مختلفة"(83).

وبطبيعة الحال فإن ليس هناك تحديد ثابت، في هذه الحالة، سواء للوقائع المعطاة أو المعاني التي تلقي عنها "فالواقعة والمعني يتحددان نسبياً وفقاً للموقف، وإن كان ذلك الذي يتحدد نسبياً هو في الوقت نفسه حقيقي موضوعي".

والمعني لذلك ليس ذاتياً وإنما هو يتحدد وفقاً للمواقف، " فالحياة بشكل عام مغامرة، وحين نتواصل في مستوى لها هو النشاط الفكري للإنسان فإن المغامرة يتخللها ما يربط بين المادة المعطاة والمنتج النهائي أي صلة المعني بين ما بدأنا منه وما اخترنا أن نفعله"(84). ولذلك يقول لامبركت: "والمعاني لذلك" في

الأشياء... كما أنها ليست كيانات ذهنية... تضاف إلي الأشياء.... فالوقائع في حالة تناولها تستدعي المعاني"[85].

فالمعاني تكتسب من خلال مصداقية استخدامها، فأن يكون هناك معني فدلالته أنه وجد مبرراً له، وكما أن حقيقة العبارات التاريخية عن واقعة ما هي في اتفاقها مع الماضي، وكما أن الاختيار والانتقاء مما هو معطي يعبر عن الاهتمامات الحاضرة، فإن مشروعية المعني أيضاً هي في استخدام المادة المعطاة بطريقة تستشرف المستقبل[86].

وعلى ذلك "فإن التساؤل عما إذا كانت المادة التاريخية هامة، ولماذا هي هامة؟ وكيف هي هامة؟ لا يكون بالنظر إلي الماضي فقط أو بالنظر إلي الاهتمامات الحاضرة فقط بل يكون بالأحرى بالنظر للعمل التاريخي في تطلعه للمستقبل" [87]، ذلك أن هذا البعد يتمثل في تجاوز المؤرخ للحدود الضيقة للتأريخ وبالتالي ارتفاعه عما هو حال إلي ما يكمن وراءه، واستيعابه، تبعاً لذلك، للحظات الماضي والحاضر والمستقبل. ثم هو ينتقل إلى التساؤل عن صلة العمل التأريخي ككل ببعديه الذاتي والموضوعي بالعمل التأريخي في مجال الفلسفة، فهل يختلف عمل المؤرخ في مجال الفلسفة عنه في أي مجال آخر؟

ويجيب لامبركت عن هذا التساؤل بالطريقة ذاتها فيوجز رأيه في عبارة محددة ثم يفصله تباعاً، أما عبارته فهي " أن تاريخ الفلسفة هو تاريخ لتفكير الفيلسوف"[88]، وهو يوضح ذلك بأن عمل الفيلسوف يشتمل مثل عمل المؤرخ على عناصر ثلاثة: فعلى الفيلسوف أن يستند أولاً إلي المادة المعطاة في أية جزئية من جزئيات الحياة كاعتقادات معاصريه أو تراث ماضيه أو نشاطات مجتمعه وما إلي ذلك، وكأن لامبركت بذلك يردد ما سبق أن ذكره فندلباند من خطوات.

أما العنصر الثاني فيتمثل في أنه على الفيلسوف أن يمرر هذه المادة المعطاة من خلال مصفاة اهتماماته ورغباته، إن صح التعبير، في حين أن العنصر الثالث والأخير يتمثل في أنه على الفيلسوف أن يطرح منتجاً نهائياً لعمله[89].

فالتفلسف مثل كتابة التاريخ، فما يقوم به المرء في تفلسفه يقوم به أثناء كتابته للتاريخ، يقول لامبركت: "فأن يتفلسف المرء فإن هذا معناه أن يخبر عن وقائع بعينها، ويعبر عن اتجاهه الشخصي، ثم يقدم تفسيراً لما تعنيه الوقائع يحمل معني المخاطرة إذ يعبر عن رؤيته الخاصة"[90]، ويقول أيضاً: "إن تفكير الإنسان "السليم" هو الذي يؤسس التاريخ الفكري وليس ما يعتقد فيه بطريقة خاطئة أو ما يدعيه بغطرسة"[91]، فهناك فلسفة تتحرك من خلال عالم خاص بها، وهو عالم المناقشات والمساجلات discourses، غير أن ذلك لا يعني ثمة أفضلية لحقيقة الفكرة على تاريخها، وهو يشير إلي ذلك بقوله: "فما أنا مهتم بتأكيده هو أن حقيقة أية فكرة إنما تتأسس عندما نعرف ما تعنيه تلك الفكرة، وما تعنيه الفكرة بشكل تام

وكامل يتحقق فقط من خلال سياقها التاريخي" [92]، وبذلك يذكرنا لامبركت أيضاً بما أورده فندلباند عن أهمية الوقائع التاريخية.

ففي نظره، وهو في ذلك يتفق تماماً مع فندلباند، أن دراسة الفلسفة دون تناولها تاريخياً معناها إذن افتقادها لكثير من المعاني "إذ يحصر المرء نفسه في معاني ذاته هو فقط، في حين أن التأريخ لها يدربه على أن يفهم فلسفات متعددة ومتباينة في الوقت نفسه وأن يقف على محاسنها ونواقصها على السواء"[93].

ولامبركت بذلك يؤكد من جديد على البعد الميتافيزيقي للعمل التأريخي ولذلك فإن "مؤرخ الأفكار" الذي يهتم بالسياق التاريخي لعرض الأفكار والنقاش الدائر حولها، وإن كان مثل "الفيلسوف غير التأريخي" يمكنه أن يناقش موضوعات ويقارن بينها– كما هو الحال في موضوعات المثالية والواقعية والعقلانية والتجريبية، إلا أنه بإمكانه أن يناقش هذه الأفكار وغيرها بشكل أكثر دقة وأكثر ثقة نظراً لأنه سيكون على وعي بعالم المناقشات والمساجلات الذي تتصارع فيه هذه الأفكار، والتي يثبت كل منها أحقيته من خلاله[94].

وعلاوة على ذلك الوصف العام المناقشات والمساجلات فيما يشبه ما صنف في الفكر المعاصر عن تأريخ الفلسفة بأنه التأريخ التصنيفي، فإن لامبركت يضيف إلي ما ذكره من مسميات من قبيل المؤرخ التأريخي ومؤرخ الأفكار والفيلسوف غير التأريخي ما يقترب به مما سبق وأن تحدث عنه فندلباند، فها هو يقول: "إنني قلت آنفاً أن التأريخ فرع من الميتافيزيقا، وأريد الآن أن أذهب إلي ما هو أبعد من ذلك، فأقول إنه افتتاحية لفلسفة الفلسفة philosophy of philosophy التي هي ليست، في هذه الحالة، فلسفة ضمن الفلسفات المتنافسة في مجال الطبيعة، والمعرفة، والقيمة، بل هي تمثل التقييم النزيه disinterested لما تظهره فلسفات الطبيعة والقيمة من أعمال العقل الإنساني"[95].

فالحقيقة، وفقاً لهذه العبارات تقضي أولاً الانخراط في عالم المناقشات والمساجلات الفكرية كي يستطيع المفكر أن يتجاوزها إلي تقييم نزيه ورؤية ثاقبة لموضوعات هي باستمرار الشغل الشاغل للفلسفة كفلسفات الطبيعة والمعرفة والقيم.

والتقييم وفقاً لهذه العبارات هو بالتالي خطوة أخيرة في نهاية النسق التأريخي للأفكار أو محصلة لذلك النسق بمعني أدق تماماً ـ كما عبر عن ذلك فندلباند-وإن كان فندلباند ربط بين هذا التقييم والرؤية الحضارية لوعي الإنسان الغربي بشكل عام بحياته والعالم من حوله فلم يقصره على عالم المناقشات والمساجلات فحسب- كما كان الحال عند لامبركت.

الخاتمة:

بهذا الشكل نكون قد عرضنا لطبيعة عمل فندلباند الفيلسوف المؤرخ الذي لم يكتف بطرح رؤية فلسفية خاصة به تمثلت في قناعته بأهمية القيمة ودورها في النشاط الإنساني ككل، بل راح يعرض وسيلته لهذا الطرح الفلسفي ألا وهو تاريخ الفلسفة نفسه .

وكان تأريخه للفلسفة تأريخاً لم يقف عند حدود شخصية ما، أو فكرة بعينها، أو فترة محددة، أو خلافاً ضيقاً بين أشخاص بعينهم، بل امتد ليشمل آفاقاً أرحب تمثلت في طبيعة الإشكاليات الفلسفية، وكيف أنه من الضروري النظر إليها من منظور قيمي نقدي يربط بينها وبين الوعي الإنساني في رؤيته الحضارية للعالم والحياة.

وفندلباند بذلك يقدم نموذجاً للجمع بين العمل الفلسفي والعمل التاريخي، فكما رأينا فإنه قد حافظ على الروح الكانطية وذلك هو ما اتضح في تمسكه بتعدد المبادئ التي تحكم عملية التأريخ للفلسفة مثلماً تمسك بها في مشروعه العلمي المعرفي والقيمي أيضاً، وإن كان ذلك لم يمنعه من أن يبدي إعجابه بهيجل، وتأثره به أيضاً كلما أتيح له ذلك، فقد تأثر بهذا الفيلسوف في اهتمامه بتأريخ الفلسفة، وفي تركيزه على الإشكالية الفلسفية باعتباره أساساً ترتكز عليه عملية التأريخ، وفي مراعاته أيضاً لأهمية الواقعة التاريخية .

أضف إلي ذلك ما ظهر في ثنايا حديث فندلباند أيضاً من لمحات عن طبيعة عمل المؤرخ بشكل عام في مجال الفلسفة والتي يمكن مقارنتها بحديث آخرين ممن اهتموا بالعمل التأريخي في مجال الفلسفة وإن لم يكونوا فلاسفة بالأساس.

وبهذا الشكل يكون فندلباند قد استفاد من طبيعة العملين الفلسفي والتأريخي معاً، فتمثلت استفادته من العمل الفلسفي في رؤاه التأملية ونظرته الكلية، وكانت استفادته من العمل التاريخي في واقعيته بشكل صعب معه فصل هذين العملين عن بعضهما البعض في منظومته الفكرية، بل صعب معه أيضاً وبشكل عام أن تترك طبيعة العلاقة بين الفلسفة والعمل التأريخي لها دون أن تطرح حولها التساؤلات المرة تلو المرة سواء من الفلاسفة أو من المهتمين بتاريخ الفلسفة ومن ثم السعي إلي إيجاد حلول لها تتعدد بتعدد زوايا النظر إليها سواء من جهة الفيلسوف، أو من جهة المؤرخ خاصة إذا كانت هناك شخصيات تجمع بين العملين الفلسفي والتأريخي في آن واحد مثل فندلباند.

الهوامش:

1. Passmore, John, The Historiography of Philosophy, The Encyclopedia of Philosophy, Editor in Chief Paul Edwards. (New York: Macmillan, 1797), Vol.6, p.226.

2. See, W. von Leyden, Philosophy and Its History, Proccedings of the Aristotelian Society, New Series, Vol.54 (1953- 1954), p.194, 202 ff.

3. هو فليلهم فندلباند Wilhelm Windelband(1848- 1915) فيلسوف ألماني ومؤرخ للفلسفة، ولد في بوتسدام Potsdam، وتعلم في بيناJena، وفي برلين Berlin، وفي جوتنجن Gottingen وتتلمذ على يد رودلف هرمان لوتز Rudolf Hermann Lotze، وكونوفيشر Kuno fisher، ودرس الفلسفة في زيورخ Zurich، وفرابيورج Freiburg، وستراسبورج Strasburg، وكان رائداً لما عرف باسم مدرسة جنوب غربي ألمانيا South Western Germany School، أو مدرسة بادن Baden، وهي إحدي مدرستي الكانطية الجديدة Neo-Kantianism بجانب المدرسة الأخرى وهي مدرسة ماربورج Marburg. ومن أهم أعماله:

- (1878- 1880) Geschichte der neueren philosophie in ihremurammenhange mit der allgemeinen Kultur und den Wissenschaften (History of modern philosophy in its Relation to General Culture and the Sciences). Leipzig: Breitkopf und Haertel, 2 vols.

- (1884) Praluden (preludes) tubingen: J.C.B Mohr, 2 vols.

- (1901) Lehrbuch der Geschichte der Philosophie (Testbook of the History of Philosophy), Tubingen: J.C.B Mohr 17th ed., 1994 .

- (1914) Einleitung in der Philosophie (Introuduction of Philosophy), Tubingen: J.C.B. Mohr.

أما عن الكانطية الجديدة التي هو أحد روادها فهي "حركة فلسفية سيطرت على الحياة الأكاديمية في ألمانيا في فترة حددها المؤرخون ما بين عام 1890 وعام 1920، وقد نادت بالرجوع إلي الفلسفة التي بحثت في شروط المعرفة ومبادئها وهي الفلسفة الكانطية، وذلك في ظل أجواء سادتها مناداة الفلاسفة الوضعيين بمنهج واحد لدراسة العلوم كلها سواء كانت طبيعية أم إنسانية، فكان ذلك تعبيراً من جانب الكانطين الجدد عن قناعتهم بأن الفلسفة في حقيقتها علم، وأنه بإمكانها أن تكون كذلك إذا هي عادت إلي منهج وروح كانط".

(Lewis Beck, , Neo- Kantianism, The Encyclopedia of Philosophy, 1967, vol.5, P.468).

4- Windrelband, Wilhelm, History of Philosophy, Translated by J.H. Tufts (New York, 1901), p.2.

5-Op.cit.loc.cit.

6- See Alan Donagan, Philosophy of History, (New York: The Macmillan Company, 1965), p.15.

7- Windelband, op. cit., p.624.

8- Ibid., pp. 624-625.

9- الوضعية Positivism هي الرأي القائل بأن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية ولاسيما تلك التي ينتجها العلم، وينطوي المذهب عادة على إنكار وجود معرفة نهائية، أي معرفة تتجاوز التجربة، ولاسيما فيما يتعلق بالعلل النهائية، أما الخاصة التاريخية، النزعة التاريخية historicism فهي الرأي القائل بأن جوهر المجتمع والثقافة يتميز

بالاتجاه التطوري والدينامي، وبأن جميع أشكال الحياة الاجتماعية متعلقة أساساً بمجال التاريخ الذي يتعامل في جميع الأعمال، ويري K.R.Popper أن النزعة التاريخية هي محاولة إدراج جميع العلوم الاجتماعية تحت علم التاريخ وجعل الهدف الأساسي لها التنبؤ بالمستقبل من خلال تأكيد قوانين تاريخية، وأما النزعة السيكولوجية Psychologism فهي الميل إلي تغليب وجهة النظر السيكولوجية على ما عداها من وجهات النظر الأخرى، فهي ضرب من طموح علم النفس الذي يرمي إلي استيعاب الفلسفة بأسرها أو على الأقل إلي إدعائه أنه الأساس الأول لها، كما يقصد بهذا الاصطلاح الاتجاه الذي يستند في معالجة علم المنطق إلي علم النفس من حيث أن التفكير عملية نفسية، أي أنه حادث نفسي كبقية الأحداث النفسية.

(د. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان 1993، ص312، ص197، ص336) .

10- قارن في ذلك: وصف تشارلز بامباك Charles Bamback، لما كان موجوداً في الساحة الفكرية في تلك الآونة من مذاهب واتجاهات حددها في ثلاث هي النزعة الوضعية باهتمامها بالعلم الطبيعي، واتخاذه نموذجاً للعلم بشكل عام، وفلسفة الرؤية الشاملة Welanschauung وما تستند إليه من مناداة الفيلسوف بالجمع بين خبرات ذاتية ونظرات فلسفية عن الحياة والعالم ومن ثم النظر إليها من منظور الإنسان الفرد، والاهتمام بتاريخ الفلسفة إلي الحد الذي ينظر فيه إليه باعتباره "بؤرة focus للبحث العلمي ساعدت على الحفاظ على مكانة الفلسفة كحقل علمي للدراسة في أواخر القرن التاسع عشر".

(Charles Bamback, , The Crisis of Historicism: Neo- kantian Philosophy of History and Wilhelm Dilthey's Hermeneutics. Unpublished dissertation, (University of Michigan, 1987, P.132).

11- Oakes, Guy, Windelband on History and Natural Science, History and Theory. Vol.19, No.2, (Feb. 1980), p.166.

12- Ibid., pp.166-167.

13- Windelband, History of Philosophy, p.680

14- Oakes, op.cit, p.167.

والمنهج التتبعي genetic method: هو أحد مناهج البحث، ويقوم على أساس تحليل نمو الظواهر فيقوم بتحديد الأحوال الأولي للنمو ومراحله واتجاهه وتوضيح العلاقات بين الظواهر عبر الزمان والانتقال من الأشكال من السلفي إلي الأشكال العليا. (د. أحمد زكي بدوي، المرجع نفسه، ص175)

15- Ritche, D.G., Praludien, Mind, vol.12, 37 (Jan., 1885), PP. 135-136 .

16- See White Hyden, Wilhelm Windelband, The Encyclopedia of Philosophy, 1967, vol.8,p.321

17- Oakes, op. cit, p. 168 .

18- وهي المحاضرة التي ألقاها بمناسبة تقلده منصباً إدارياً في ستراسبورج Strasburg عام 1894.

19- Windelband, Rectorial Address, Strasburg, 1894, History and Theory, Vol.19, No. 2 (Feb., 1980), P.175.

20- Ollig, Hans - Ludwig, Neo - kantianism, Translated from the German by Michael and Nicholas Walker, Routledge Encyclopedia of Philosophy, General Editor Edwand Craig. (London and New York: Routledge),1998, vol.6,p785.

21- Donagan, op. cit. p.15 .

وهذه التفرقة بين العلم الطبيعي والعلم التاريخي نقدها كولنجوُود Collingwood بشدة إذ رأي فيها "تفرقة لا تنطوي على أية أهمية تذكر، ولم تكن حتى تكيفاً دقيقاً للفرق الذي يبدو بين الدراستين لأول وهلة"، وهو يفسر ذلك بمثال يضربه، فقضية مثل"هذه حالة حمى تيفودية" وإن كانت حقيقة فردية إلا أنها ليست "من قبيل التاريخ" وإنما هي "صيغت في قالب القضايا العامة". ذلك أن القضية التي تصدق على النقد في القرن الثالث،إن هي في الحقيقة إلا عبارة تصف حقيقة واحدة جزئية هي السياسة النقدية في الإمبراطورية الرومانية، وتشريح هذا المرض كتيفود، لا يعتبر في الحقيقة، قضية جزئية بقدر ما يعتبر حقيقة من الحقائق التي تندرج تحت نظرية عامة، وهي "التيفود": وبذلك لا تنصرف مهمة العالم إلي مجرد تشريح التيفود في حالة معينة، وإنما تنصرف إلي تحديد الطبيعة العامة للمرض، وكذلك نجد أن مهمة المؤرخ بوصفه مؤرخاً تنصرف إلي دراسة الخصائص الفردية للأحداث التاريخية الجزئية لا الوصول إلي قضايا عامة. (ر.ج. كولنجوود، فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكر خليل، مراجعة محمد عبد الواحد خلاف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1968، ص297).

فخطأ فندلباند إذن يعود، في نظر كولنجوود، إلي حديثه عن علم تاريخي جزئي ولهذا فهو يقول: "إن حديث (فندلباند) عن علم له طابعه الخاص، يتضمن احتمال الوصول إلي معرفة تحيط بالأحداث الجزئية- معرفة علمية"- أي معرفة من النوع العقلي أو النوع الذي يستند إلي التجربة، ولكن الذي يبعث على الدهشة في مؤرخ عظيم من هذا الطراز من مؤرخي الفكر، هو أنه لا يدرك أن تقليد الفلسفة الأوربية كلها منذ عهد اليونان حتى الوقت الذي عاش فيه، يكفر هذا اللون من المعرفة كفراً لا حيدة عنه ... ذلك أن الحادث الفردي، أو الظاهرة الفردية، بوصفها لوناً من ألوان الوجود الزائف العابر، تدرك أو تعرف في حالة وجودها فقط، وفيما عدا ذلك لا يمكن أن ترقي إلي مرتبة الشيء الثابت، الذي نسميه بالمعرفة العلمية"، (المرجع نفسه، ص298).

من هنا فعلم التاريخ الذي تحدث عنه فندلباند يندرج، تبعاً لرأي كولنجوود، تحت عباءة أخرى غير عباءة المعرفة، وهي عباءة القيم، يقول كولنجوود: "طالما انصرف مجهود فندلباند إلي مناقشة المشكلة الخاصة بقيام علم يعرض لبحث الأحداث الجزئية، لم تخرج إجابته عن القول بأن معرفة المؤرخ بالأحداث التاريخية، تتألف من أحكام يصدرها تتعلق بالقيم الروحية للأحداث التي يعرض لدراستها، ومن ثم يكون تفكير المؤرخ مرتبطاً بالتفكير في علم الأخلاق، والتاريخ بدوره فرع من فروع هذا العلم، لكن التسليم بهذا معناه أننا نجيب عن السؤال كيف يمكن أن يكون التاريخ علما بقولنا انه ليس بعلم، لقد عمد فندلباند في كتابه "مقدمة الفلسفة" إلي تقسيم موضوع الفلسفة كله إلي قسمين: نظرية المعرفة، ونظرية القيمة، ثم هو يدرج التاريخ تحت الجزء الثاني، وبذلك يستبعد التاريخ من منطقه المعرفة أطلاقاً" (المرجع نفسه ص ص299-300).

22- Oakes, op. cit., p.167.

23- Windelband, History of Philosophy, p.681.

24- Ibid., p.1 .

25- Ibid., p.2.

26- Op. cit. Loc. cit.

27- Ibid., p.3.

28- Ibid., p.4.

29- Op. cit. Loc. cit.

30- Ibid., p.5.

31- Op. cit. Loc. cit.

32- Ibid., p.6.

33- Ibid., p.10.

34- Ibid., p.9.

35- Ibid.,p.10.

36- Op. cit. Loc. cit.

37- الكرونولوجيا Chronology هو العلم الذي يبحث في تحديد التواريخ وتسلسل الأحداث .

38- Ibid., p.11.

39- Op. cit. Loc. cit.

40- Dray, W.H., Philosophy of History, The Encyclopedia of Philosophy, 1967, vol. 5, p.347 .

وكي يتضح الفارق بين فلسفة التاريخ التأملية أو الميتافيزيقية وفلسفة التاريخ النقدية فإن المؤرخ والش Walsh يقارن بينهما وبين نوعين من الدراسة الفلسفية لمجال آخر هو الطبيعة. أما النوع الأول فهو فلسفة الطبيعة philosophy of Nature و " تتعلق بدراسة الشق الفعلي للأحداث الطبيعية، مع وجود رؤى لصياغة نظرة كونية للطبيعة في مجملها"، وهذا ما يماثل فلسفة التاريخ الميتافيزيقية، في حين أن النوع الثاني وهو فلسفة العلم Philosophy of Science "ومهمته التأمل في التفكير العلمي ككل، واختيار المصطلحات الأساسية التي يستخدمها العلماء وموضوعات أخرى من هذا القبيل"، يماثل فلسفة التاريخ النقدية.

(Walsh, W.H., Philosophy of History, An Introduction, Harper Torchbooks, 1960, p.14).

41- تتعدد اهتمامات الفيلسوف الاسترالي المعاصر جون باسمور، فبالإضافة إلي اهتمامه بتاريخ الفلسفة، فإن له اهتمامات ايضاً بفلسفة الطبيعة والفلسفة البيئية ومن مؤلفاته:

- Man's Responsibility of Nature: Ecological Problems Western Tradition .

- The Prefectibility of Man.

42- استخدام هنا ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام للفظ polemical بمعني خلافي، وترجمته كذلك اللفظ doxographical بمعني المختص بالآراء والأقوال اللتين أوردهما في دراسته التي سبقت ترجمته لمؤلف "هيجل": محاضرات في تاريخ الفلسفة .

(أنظر د. إمام عبد الفتاح إمام، محاضرات هيجل في تاريخ الفلسفة، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1997).

43- Passmore, John, The Historiography of Philosophy. The Encyclopedia of Philosophy, 1967, Vol.6 p.226.

44- Passmore, The idea of A History of Philosophy, History and theory, Vol.5, Beihelf 5: the Historiography of the History of Philosophy (1965), p.5.

45- Ibid, p.18.

46 - Passmore, The Idea of A History of Philosophy, p.7

47. Passmore, The Historiography of Philosophy, p.226.

48- Passmore, The Historiography of Philosophy, p. 226-227.

49- Passmore, The Idea of A History of Philosophy, p.19

والببليوجرافيا: (أ) فن وصف الكتب والمخطوطات أو التعريف بها. (ب) مسرد نقدي بالكتب المتصلة بموضوع أو حقبة أو مؤلف ما. (ج) ثبت المراجع.

50- Passmore,The Historiography of Philosophy, p. 227.

51- Ibid, p. 228 .

52- Passmore, The Idea of A History of Philosophy, p. 22.

53- Ibid., p. 24.

54- Passmore, The Historiography of Philosophy, p. 228 .

55- Passmore, The Idea of A History of Philosophy, p. 26 .

56- يرجع هذا الخلاف إلي ما ذهب إليه أفلاطون قديماً من وجود حقيقي للكليات: أما من تبني هذا الرأي فقد أطلق عليه أسم الواقعي في حين أن من رفضه أطلق عليه الأسمى لقوله أن الكليات ما هي إلا أسماء فقط وليس لها وجود .

57- Passmore, The Historiography of Philosophy, p.228 .

58- Ibid., p.229.

59- Passmore, The Idea of A History of Philosophy p.27 .

60- Ibid, pp. 27-28 .

61- Ibid, p. 28.

62- Ibid., pp. 28-29 .

63- Passmore, The Historiography of Philosophy, p. 229 .

64- Passmore, The Historiography of Philosophy, p.230 .

65- Passmore, The Idea of A History of Philosophy p.31 .

66- Windelband, A History of Philosophy, p.13 .

67- Passmore, The Historiography of Philosophy, p. 230 .

68- Passmore, The Historiography of Philosophy, p.31 .

69- Passmore, The Idea of A History of Philosophy, p. 230 .

70- ما قصده فندلباند بكلمة "براجماتي" في هذا السياق هو أن التاريخ الفعلي للفلسفة لا يهتم بالأفكار المنطقية المعبرة عن طبائع الأشياء فحسب ولكنه يعرض أيضاً لتناول الأفراد لما يعن لهم عنها من مشكلات فلسفية فعلية يكون عليهم أن يبحثوا عن حلول لها.

71- Windelband, A History of Philosophy, p. 11.

72- Ibid., p. 12 .

73- Op. cit.Loc. cit.

74- Op. cit.Loc. cit.

75- Ibid., p. 13.

76- Ibid, p. 14.

77- Op. cit. Loc. cit.

78- Op. cit. Loc. cit.

79- Ibid., p.15 .

80- Op. cit. Loc. cit.

81- Lamprecht, Sterling, "Histougraphy of Philosophy", The Journal of Philosophy, Vol.36, No.17 (Aug, 1939), p. 449.

82. Ibid, pp. 450-452 .

83- Ibid, p. 452.

84- Ibid, p. 453 .

85- Ibid, p. 455.

86- Op. cit. Loc. cit.

87- Ibid., p. 456.

88- Ibid, p. 457.

89- Op. cit. Loc. cit.

90- Ibid., p.458.

91- Op. cit. Loc. cit.

92- Ibid., p.459.

93- Op. cit. Loc. cit.

94- Ibid., pp.459-460.

95- Ibid, p.460.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. Windelband,Wilhelm,History and National Science, RectorialAddress,Strasburg, 1894, Vol19, No.2 (Feb., 1980), pp. 169-185.
2. Windelband, Wilhelm, History of Philosophy, Translated by J.H. Tufts. (New York, 1901).

ثانيا: المراجع الاجنبية

1. Bamback, Charles, The Crisis of Historicism: Neo-Kantian Philosophy of History and Wilhelm Dilthey'sHermeneutics. Unpublished Dissertation,(University of Michigan, 1987).
2. Donagan, Alan,Philosophy of History. (New York: The Macmillan Company, 1965).
3. Passmore, John, The Historiography of Philosophy, the Encyclopedia of Philosophy, editor in Chief Paul Edwards. (New York: Macmillan), 1967,Vol 6, pp. 226-227.
4. Passsmore,Johm, The Idea of a History of Philosophy, History and Theory, vol. 5, beiheift5: The Historiography of the History of Philosophy(1965), pp 1-32.
5. Walsh, W.H., Philosophy of History,An introduction. (Harper Torchbooks, 1960).
6. White, Hyden, Wilhelm,Windelband, The Encyclopedia of Philosophy, 1967, Vol8, pp. 320-322.
7. Windelband, Wilhelm,Guyoakes,History and Theory, Vol19, No2 (Feb., 1980), pp. 165-168.
8. Sterlin, lamprecht,Historiography ofPhilosophy, Journal of philosophy, Vol36, No. 17 (Aug.1939). pp.449-460.

ثالثا: المراجع العربية

1. إمام عبد الفتاح إمام: "هيجل": محاضرات فى تاريخ الفلسفة، مكتبة مدبولى بالقاهرة، 1997.
2. ر.ج. كولنجوود: فكرةالتاريخ، ترجمة محمد بكر خليل، مراجعة محمد عبد الواحد خلاف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1968.

رابعا: قواميس ومعاجم

1. أحمد زكي بدوى: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، 1993.